

المواجهة بين روسيا وحلف الناتو على الأراضي الأوكرانية الواقع والسيناريوهات المحتملة



المواجهة بين روسيا وحلف الناتو على الأراضي الأوكرانية

الواقع والسيناريوهات المحتملة

مقدمة

- 1- لماذا تشكّل أوكرانيا مشكلة بالنسبة للناطو؟
- 2- الناطو يريد توريط روسيا في أوكرانيا.
- 3- الازمة في أوكرانيا ستحدّد مستقبل أوروبا.
- 4- لتغيير سلوك بوتن، الغرب بحاجة إلى استراتيجية جديدة.
- 5- سيناريوهات محتملة لهجوم روسي على أوكرانيا وتداعياته على أوروبا.
- 6- الضحايا الحقيقيون للهيمنة الأمريكية على الناطو هم دول أوروبا الغربية والوسطى.

مقدمة:

جذبت التوترات بين أوكرانيا وروسيا الانتباه الدولي. حشدت روسيا قوات عسكرية كبيرة على حدود أوكرانيا وصعدت التوترات بين روسيا وحلف شمال الأطلسي (الناطو). ردّاً على ذلك، قدمت الولايات المتحدة ودول الناطو الأخرى مساعدات عسكرية واقتصادية لأوكرانيا، ووسعت الولايات المتحدة من وجودها العسكري على الجانب الشرقي لحلف الناطو. "أعتقد أن ما ستره هو أن روسيا ستتحمل المسؤولية إذا قامت بغزوها. وهذا يعتمد على ما يفعله. إنه شيء واحد إذا كان توغلاً بسيطاً ثم ينتهي بنا المطاف في قتال حول ما يجب القيام به وما لا نفعله، وما إلى ذلك". أثارت هذه الكلمات من الرئيس جو بايدن عاصفة نارية من واشنطن إلى كييف، حيث كان النقاد - بمن فيهم الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي - قلقين بشأن تداعيات عدم تمييز الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي بين الغزو والتوغل البسيط عند اتخاذ قرار بشأن كيفية الرد على العدوان الروسي.. حاولت جهود التنظيف "توضيح" التعليقات من خلال إعادة إرسال الرسائل على عجل إلى التهديدات المبهمة ذات التداعيات الخطيرة. ومع ذلك، فقد كشفت كلمات الرئيس بالفعل عن التحدي الواضح المتمثل في إدارة الصراع بين الدول مع الجهات الفاعلة التي أصبحت قادرة بشكل متزايد على العمل بالقرب من عتبة الحرب المسلحة التقليدية أو تحتها. تزداد الطريقة التي تعمل بها الدول على تعزيز مصالحها في هذه "المنطقة الرمادية"¹ أهمية بالنسبة لرجال الحرب وواضعي السياسات. الأحداث الأخيرة على طول الحدود الأوكرانية

¹ تُعرّف المنطقة الرمادية بأنها "تفاعلات تنافسية بين وداخل الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية والتي تقع بين الحرب التقليدية وثنائية السلام". من قبل قيادة العمليات الخاصة للولايات المتحدة. ... دعا وزير الدفاع البريطاني بن والاس المنطقة الرمادية "تلك الأرض المبعثرة بين السلام والحرب".

الروسية ليست سوى الأحدث في قائمة طويلة من الحوادث الدولية والحملات المستمرة التي يمكن وصفها بأنها نشاط المنطقة الرمادية. في المقابل، هناك مجموعة أعمال تتوسع بسرعة تصف ماهية المنطقة الرمادية، ولماذا تختار الدول العمل فيها، وكيفية الدفاع ضد مثل هذه الإجراءات. وبالتحديد، يخلط المعتدون في المنطقة الرمادية الأدوات السياسية والاقتصادية والمعلوماتية والعسكرية لتعزيز مصالحهم مع تقديم معضلات تصعيد بغیضة إلى صانعي السياسة المعارضين.

ومع ذلك، فإن التحديات المحددة التي تفرضها حملات المنطقة الرمادية على ضباط المخابرات هي أقل دراسة. من المسلم به أن "المنطقة الرمادية" ليست شيئاً جديداً على الاستخبارات - فهي تشمل، بعد كل شيء، أحجار الزاوية في عمل الاستخبارات: التضليل، والإنكار والخداع، والعمل السري. ومع ذلك، فإن إدارة المنطقة الرمادية المعاصرة تعني التعامل مع الكيفية التي يعمل بها تطوير وانتشار التقنيات الناشئة والمعطلة على تغييرها بسرعة. تعمل التكنولوجيا على تسريع وتيرة وانتشار نشاط المنطقة الرمادية على مستوى العالم، مما يمثل تحدياً فريداً للوظائف الأساسية لوكالات الاستخبارات لاكتشاف التهديدات وفهمها. يتضمن ذلك القدرة على تحديد وتعيين مؤشرات النشاط العدائي عند ظهورها (اكتشافها) ووضعها في سياق فهم أوسع لاستراتيجية الفاعل ونواياه (الفهم).

من الناحية المثالية، يجب أن تكون هذه الوظائف متزامنة ومعززة لبعضها البعض. أي أن المعلومات التي يتم جمعها ستوفر رؤى إستراتيجية في الوقت الفعلي، وستتيح هذه الرؤى إجراء تحليل وجمع أكثر وضوحاً. ومع ذلك، إذا تخيلت علاقة الاكتشاف والفهم هذه كعجلة، فإن حجم وسرعة وتعقيد أنشطة المنطقة الرمادية الحديثة سيولّد احتكاكاً. تتباطأ العجلة حيث تصبح مؤشرات التهديد غامضة بشكل متزايد. فيما يتعلق بالعواقب الواقعية، قد يعني هذا عدم وجود نافذة قرار قصيرة للتدخل خلال المراحل الأولى من حملة اقتصادية أو معلوماتية أو إلكترونية. إذا أرادت وكالات الاستخبارات تسريع عجلة القيادة لمواكبة تهديدات المنطقة الرمادية، فيصبح من الضروري القيام بسلسلة من إصلاحات الاستخبارات الفنية والتنظيمية والثقافية.

دعماً للجهود المبذولة لمواجهة هذه التحديات الملحة، قدم مركز الدراسات الدولية والاستراتيجية بواشنطن [مشروعاً مدته ثمانية أشهر](#) لدراسة الذكاء في المنطقة الرمادية. بعد إجراء مقابلات مع عشرات الخبراء - بما في ذلك العديد من مسؤولي المخابرات الحاليين والسابقين - وإجراء [ورشة عمل منظمة في أواخر عام 2021](#)، قام خبراء هذا المركز بصياغة العديد من التوصيات لمجتمع الاستخبارات الأمريكية لتطوير الأدوات والهيكل التنظيمي والثقافة القادرة على اكتشاف وفهم المنطقة الرمادية النشطة. بينما ركز مشروعهم البحثي بشكل أساسي على كيفية قيام الولايات المتحدة بتحديث مهمتها

الاستخباراتية لهذه الحقبة، يذهب الى الاعتقاد بأن هذه النتائج والتوصيات قابلة للتطبيق على نطاق واسع على الدول الأخرى التي تواجه تحديات المنطقة الرمادية المماثلة.

1. لماذا تشكل أوكرانيا مشكلة بالنسبة للناتو؟

أظهر استطلاع جديد أجرته [Politico-Morning Consult](#) أن معظم الأمريكيين يدعمون الشعب الأوكراني في مواجهة العدوان الروسي. 63% يريدون فرض عقوبات على روسيا إذا اجتاحت فلاديمير بوتين أوكرانيا. 58% يؤيدون السماح لأوكرانيا بالتقدم لعضوية الناتو. 49% يقولون إنه يجب على الناتو ألا يمنع أوكرانيا من الانضمام إلى الحلف لمنع غزو روسي. ويؤيد 48% إرسال قوات أمريكية إلى أوروبا الشرقية لدعم حلفاء الناتو في المنطقة. فقط أقلية صغيرة تعارض معظم هذه السياسات. لكن عددا كبيرا من الأمريكيين يقولون لمنظمي استطلاعات الرأي إنهم ليسوا متأكدين مما يفكرون فيه. يتساءل الكثيرون بشكل كبير: لماذا يشكل هذا الأمر مشكلة للولايات المتحدة؟ إنه سؤال عادل. والإجابة هي: لأنه إذا سمحت الولايات المتحدة لروسيا بغزو وإسقاط ديمقراطية أوروبية، فإن عواقب هذا التقاعس الأمريكي ستتردد في جميع أنحاء العالم.

• تداعيات التقاعس الأمريكي عن التدخل في الازمة الأوكرانية من وجهة نظر أمريكية:

تجدر الإشارة الى أن الصين تراقب، وإذا كان بإمكان بوتين غزو أوكرانيا، فقد تكون تايوان هي التالية. في أكتوبر الماضي، وبعد انسحاب الرئيس بايدن الكارثي في أغسطس من أفغانستان، أرسلت الصين عددًا قياسيًا من المقاتلات والقاذفات إلى منطقة الدفاع الجوي التايوانية - وهو أكبر توغل ل سلاح الجو الصيني على الإطلاق ضد تايوان. قبل بضعة أسابيع، عندما حشد بوتين القوات على طول الحدود الأوكرانية، قامت الصين بتوغل كبير آخر. إذا فشلت الولايات المتحدة في ردع روسيا بعد أقل من عام من استسلامها في أفغانستان، فقد تعتبر بكين أن لديها فرصة لغزو وسحق الديمقراطية في تايوان. قد تكون النتيجة حربًا في المحيط الهادئ. كما تراقب كوريا الشمالية وإيران. إذا قام بوتين بالغزو، فسيكون لدى كلا البلدين كل الحافز لتسريع تطوير الأسلحة النووية ووسائل إيصالها. كلاهما يعلم أنه بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ورثت أوكرانيا ترسانة مما يقرب من 2000 سلاح نووي استراتيجي. لكن في ديسمبر 1994، توسطت الولايات المتحدة في اتفاقية تسمى مذكرة بودابست بشأن الضمانات الأمنية التي وافقت فيها أوكرانيا على التخلي عن تلك الأسلحة إلى جانب صواريخها الباليستية العابرة للقارات والقاذفات الاستراتيجية. في المقابل، تعهدت روسيا "بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لأوكرانيا"، بينما تعهدت الولايات المتحدة وبريطانيا "بتقديم المساعدة لأوكرانيا ... إذا أصبحت أوكرانيا ضحية لعمل عدوان". في عام 2014، انتهكت روسيا هذا الاتفاق عندما غزت أوكرانيا وضمت شبه جزيرة القرم. الآن، يهدد بوتين بإنهاء المهمة. إذا سُمح له بالقيام بذلك، فلن تتخلى أي دولة عن أسلحتها النووية مقابل ضمانات أمنية أمريكية مرة أخرى. بل على العكس من ذلك، فإن الدرس المستفاد من بيونغ يانغ ل طهران هو أن الطريق الوحيد للأمن هو تطوير ونشر أسلحة نووية وصواريخ لإيصالها. قد يؤدي هذا إلى سباق تسلح عالمي، فمثلا تعهدت المملكة العربية السعودية بتطوير ترسانتها النووية إذا أصبحت إيران قوة نووية. في الواقع، حذر عاموس يادلين، الرئيس السابق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية، من أن "السعوديين لن ينتظروا شهرًا واحدًا" للحصول على أسلحة نووية، حيث يمكن للبلدان الأخرى أن تحذو حذوها. وستسقط مصداقية الولايات المتحدة وكذلك مصداقية الناتو. إن التحالف عبر الأطلسي يعاني بالفعل من كارثة بايدن في أفغانستان. لكن الغرض من تأسيس

الناتو كان ردع العدوان الروسي في أوروبا. إذا لم يتمكن الحلفاء من الموافقة على اتخاذ الخطوات اللازمة للقيام بذلك، فمن العدل أن نتساءل: لماذا لا يزال الناتو موجوداً؟

إن عواقب فشل الناتو في ردع روسيا ستتردد بين جميع الحلفاء. يظل الناتو حجر الزاوية في التزام الولايات المتحدة تجاه حلفائها في جميع أنحاء العالم. يتم قياس كل تحالف معاهدة أمريكية مقابل الناتو. هناك سبب لتصنيف 17 دولة - بما في ذلك أستراليا ونيوزيلندا واليابان وكوريا الجنوبية والأردن وإسرائيل - بموجب قانون الولايات المتحدة على أنها "حلفاء رئيسيون من خارج الناتو". يشترط قانون الولايات المتحدة أيضاً معاملة تايوان كحليف رئيسي من خارج الناتو، دون تصنيفها رسمياً على هذا النحو. ستصبح هذه الالتزامات بلا معنى إذا تم تدمير مصداقية الناتو. سوف يتم تدمير شبكة التحالفات الأمنية الأمريكية التي ضمنت السلام والاستقرار على الصعيد الدولي.

2. الناتو يريد توريث روسيا في أوكرانيا

حاول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مؤخراً اغتنام زمام المبادرة في مبارزته الدبلوماسية مع الغرب من خلال تقديم قائمة شاملة بالمطالب الأمنية بينما يحشد قوة غزو هائلة على الحدود الأوكرانية. لقد خلق هذا التهديد الخفي الانطباع بأن الزعماء الغربيين يجب عليهم إما تقديم تنازلات كاسحة للكرملين أو مواجهة احتمال اندلاع أكبر صراع أوروبي منذ الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك، هناك خيار ثالث، قد تكون أفضل طريقة لمنع غزو واسع النطاق لأوكرانيا هي زيادة التكاليف العسكرية التي من المرجح أن يواجهها بوتين إذا اختار شنّ هجوم كبير جديد. منذ أن هاجمت روسيا أوكرانيا لأول مرة في ربيع 2014، دعا الكثيرون في العالم الديمقراطي إلى سياسات الاسترضاء. بعد ثماني سنوات، يستمر العدوان الروسي على أوكرانيا مع عدم وجود نهاية تلوح في الأفق للصراع المحتدم في **منطقة دونباس** بشرق أوكرانيا. في هذه الأثناء، يسعى بوتين الذي كان أكثر جرأة بشكل واضح الآن إلى تفكيك البنية الأمنية الأوروبية بالكامل بعد الحرب الباردة وإعادة تأسيس مجال نفوذ روسي على أوروبا الشرقية والوسطى. يؤكد [الباحثون في المجلس الأطلسي](#) في هذه المرحلة، على أنه إذا رضخ قادة الناتو للمطالب الروسية ووافقوا على الانسحاب من المنطقة أو تقييد التعاون المستقبلي مع أوكرانيا، فلن يكون لذلك تأثير كبير على الكرملين. على العكس من ذلك، ستصبح موسكو أكثر اقتناعاً بضرورة استمرار المفاوضات تحت تهديد السلاح. وهذا من شأنه أن يجعل الحرب الكبرى في أوكرانيا أكثر احتمالية بكثير، بينما يمهّد الطريق أيضاً لمزيد من أعمال العدوان الروسي من بحر البلطيق إلى البلقان. بدلاً من استرضاء الكرملين، يجب على الغرب أن يسعى إلى جعل أي تصعيد إضافي باهظ التكلفة. إن إجراءات العقوبات غير المسبوقة المطروحة حالياً على الطاولة في حالة هجوم روسي جديد على أوكرانيا هي بالتأكيد خطوة في الاتجاه الصحيح، لكن ليس من الواضح ما إذا كانت الإجراءات الاقتصادية وحدها ستكون كافية لردع بوتين.

عززت روسيا احتياطاتها الدولية إلى مستويات قياسية في السنوات الأخيرة، وهي حالياً في وضع جيد لمواجهة عاصفة عقوبات شديدة. في الواقع، قد يعتبر بوتين الأمم الاقتصادية للعقوبات الغربية ثمناً يستحق دفعه مقابل المكاسب الجيوسياسية الحاسمة التي يتصورها من حملة أوكرانية ناجحة. لهذا السبب يرى الباحثون في المجلس الأطلسي أنه لكي تكون فعالة، يجب اتخاذ تدابير اقتصادية إلى جانب رادع عسكري مقنع. في الوقت الحاضر، يركز المخططون العسكريون الغربيون بشكل أساسي على المزايا الساحقة لروسيا من حيث الصواريخ والطيران والقدرات البحرية. وقد ساعد هذا في إقناع الكثيرين بأن غزواً واسع النطاق لأوكرانيا هو هدف عسكري واقعي بسبب فرص نجاحه العالية على ما يبدو. مع

تهديد الغزو الوشيك، ليس هناك الكثير مما يمكن لشركاء الولايات المتحدة أو أوكرانيا الدوليين الآخرين القيام به لتقليص فجوة القدرات الحالية بين روسيا وأوكرانيا. سوف تستغرق أنظمة الدفاع الجوي أو البحرية المعقدة سنوات حتى تصبح جاهزة للعمل بكامل طاقتها، وسيكلف الحصول عليها واستدامتها المليارات. كما أن أنظمة الأسلحة المتطورة الأخرى لها قيود مماثلة وستتطلب تدريبًا مكثفًا قبل نشرها. وبدلاً من ذلك، يتعين على أوكرانيا وشركائها السعي للحصول على إجابات غير متكافئة للتحديات العسكرية الهائلة التي تفرضها روسيا بوتين. إذا أطلق بوتين عملية واسعة النطاق، فستواجه القوات الروسية جيشاً أوكرانياً مشتركاً قوامه حوالي 500000 فرد بما في ذلك وحدة احتياطي كبيرة. ومع ذلك، إذا عملت القوات الأوكرانية في تشكيلات كبيرة، فستصبح أهدافاً سهلة للغارات الجوية الروسية. في الواقع، من المرجح أن يبدأ أي هجوم روسي بحملة جوية وصاروخية مدمرة تهدف إلى القضاء على الوحدات المدرعة والطائرات المقاتلة الأوكرانية والعناصر الرئيسية للبنية التحتية العسكرية للبلاد.

في مثل هذه الظروف، من المحتمل أن يتمكن الجيش الروسي من التقدم في عمق الأراضي الأوكرانية. ومع ذلك، فإن الاحتفاظ بهذه الأرض سيكون أمرًا مختلفًا تمامًا. ستواجه قوات الاحتلال الروسي خصوصًا متحمسين يقاثلون في محيط مألوف. من خلال الجمع بين الوحدات العسكرية العاملة مع المحاربين القدامى، والاحتياطيين، ووحدات الدفاع الإقليمية، وأعداد كبيرة من المتطوعين، يمكن لأوكرانيا إنشاء عشرات الآلاف من المجموعات الصغيرة والمتنقلة للغاية القادرة على مهاجمة القوات الروسية. وهذا سيجعل من المستحيل عملياً على الكرملين إقامة أي نوع من الإدارة على المناطق المحتلة أو تأمين خطوط إمدادها. لا ينبغي أن يكون هناك شك في استعداد الأوكرانيين للدفاع عن بلادهم. انضم الآلاف إلى كتائب المتطوعين المرتجلة في ربيع 2014 عندما كانت أوكرانيا على وشك أن تغزوها قوات الكرملين. في الأسابيع الأخيرة، أظهر استطلاع أجراه معهد كليف الدولي لعلم الاجتماع أن ما يصل إلى واحد من كل ثلاثة أوكرانيين سيكون على استعداد للمشاركة في المقاومة المسلحة للاحتلال الروسي. وجد الاستطلاع نفسه أن 20% من الأوكرانيين الآخرين سيكونون مستعدين للمشاركة في جهود المقاومة المدنية. في الواقع، يشير كل شيء من [استطلاعات الرأي](#) إلى حقيقة أن الغزو الروسي لن يحظى بشعبية كبيرة وأن قوات الكرملين ستجد نفسها تعمل في بيئة معادية مثالية للحرب غير المتكافئة. لا تعني المقاربة غير المتكافئة لمواجهة غزو روسي محتمل فقدان التنسيق العسكري العام. ستبقى القوات المسلحة النظامية الأوكرانية في قلب حركة المقاومة وستحتفظ بهياكل القيادة والسيطرة حتى أثناء العمل في وحدات أصغر بطريقة تبدو لامركزية. وفي الوقت نفسه، ستلعب قوات العمليات الخاصة الأوكرانية (SOF) دورًا قياديًا حاسمًا في جهود حرب العصابات، وستكون قادرة على طلب التدريب الذي لا يقدر بثمن والاستثمارات الكبيرة التي تم إجراؤها في السنوات الأخيرة.

إنّ أوكرانيا لديها بالفعل الأدوات والأفراد في المكان المناسب لحملة غير متكافئة ضد أي غزاة محتملين. ومع ذلك، يمكن لشركاء البلد أيضًا تقديم مساهمة كبيرة لزيادة تعزيز عامل الردع هذا من خلال تعزيز قدرة أوكرانيا على شن تمرد فعال. على الرغم من عدم وجود وقت لتزويد أوكرانيا بأنظمة أسلحة معقدة، إلا أن هناك قائمة تسوق بالعناصر التي يمكن أن ترفع تكلفة الغزو الروسي بشكل كبير. أعلى العناصر في قائمة الرغبات قصيرة المدى في أوكرانيا تشمل أنظمة الدفاع الجوي المحمولة، والصواريخ المضادة للدبابات، والصواريخ المضادة للسفن، والرادارات المضادة للطائرات، والطائرات بدون طيار من جميع الأنواع ستكون موضع ترحيب كبير. كما ستكون بنادق القنص والمعدات المضادة للقنص مفيدة للغاية، مثلها مثل الشحنات الكبيرة من نظارات الرؤية الليلية، وأجهزة الاتصال اللاسلكي المشفرة، وأجهزة الاتصال عبر

الأفكار الصناعية. إن القوات المسلحة الأوكرانية تتمتع بصلابة قتالية ودوافع عالية. بعد ثماني سنوات من الحرب غير المعلنة مع روسيا، ربما تكون الدولة ككل أكثر استعدادًا نفسيًا للدفاع عن نفسها من أي دولة أخرى في أوروبا اليوم. بالنظر إلى المعدات والتكتيكات المناسبة، يمكن لأوكرانيا أن تقلل بشكل كبير من فرص نجاح غزوها. من المرجح أن يحقق الهجوم الروسي تقدمًا مبدئيًا مثيرًا للإعجاب، لكنه قد يتفكك سريعًا حيث واجهت قوات الاحتلال معارضة لا هوادة فيها من الوحدات المتنقلة التي تعمل على أرض الوطن. يدرك بوتين تمامًا الضرر الذي لحق بالمجتمع السوفيتي جراء غزو أفغانستان. إنه بلا شك يدرك المخاطر المحتملة للوقوع في مستنقع احتلال وحشي من جانبه في أوكرانيا. تشير [استطلاعات الرأي الأخيرة](#) إلى عدم رغبة الجمهور الروسي في شن حرب كبرى ضد أوكرانيا. هذا الغياب للحماس قد يتحول قريبًا إلى معارضة صريحة إذا بدأت أعداد كبيرة من التوايبت في العودة إلى روسيا من أوكرانيا.

3. الازمة في أوكرانيا ستحدّد مستقبل أوروبا

عندما بدأ المجتمع الدولي في دق ناقوس الخطر بشأن النشاط العسكري الروسي على الحدود الأوكرانية وما يحمله من تهديد لأمن وسلامة الأراضي الأوكرانية، لوحظ أن رد فعل أوكرانيا كان يبدو أكثر هدوءًا بكثير من رد فعل العديد السياسيين في الولايات المتحدة أو العواصم الأوروبية. كانت هذه ملاحظة دقيقة تمامًا. من الضروري التأكيد على أن رد فعل أوكرانيا لا يشير إلى أي خلاف في الرأي حول طبيعة الخطر الذي تشكله القوات الروسية المتمركزة بالقرب من الحدود. على العكس من ذلك، يبدو الأوكرانيين في اتفاق كامل مع شركائهم الغربيين. يعكس رد أوكرانيا الهادئ نسبيًا على هذا التهديد الروسي الأخير الطبيعة طويلة المدى للصراع المستمر بين بلدينا. يؤكد [بعض المراقبين في الحلف الأطلسي](#) على أنه مر الآن ما يقرب من ثماني سنوات منذ أن هاجمت روسيا أوكرانيا لأول مرة. لم يتوقف العدوان الروسي منذ ذلك الحين، وأصبح جزءًا من الحياة اليومية.

لقد أصبحنا غير مباليين بالتدفق المستمر لمعلومات الكرملين المضللة واعتدنا على محاولات القيادة الروسية لإنكار حق أوكرانيا في الوجود. سوف يستغرق الأمر أكثر من حشد عسكري روسي آخر لصدنا. لا أحد في أوكرانيا يقلل من خطورة الوضع الحالي، لكن الرأي السائد يقول بضرورة التعايش مع احتمال حدوث تصعيد كبير لسنوات عديدة. لم يعد عام 2014، عندما واجه العديد من الأوكرانيين صعوبة نفسية في قبول الحقيقة المذهلة بأننا كنا نتعرض لهجوم عسكري من "الشقيقة روسيا". اليوم، يعد الجيش الأوكراني أحد أقوى القوات البرية في أوروبا مع أكثر من 400000 من قدامى المحاربين. لدينا الموارد والعزم على مواجهة العدو، وروسيا تعرف ذلك. **عدم اليقين الحقيقي الوحيد هو ما إذا كانت أوروبا تقدر تمامًا ما سيعنيه الغزو الروسي الشامل لأوكرانيا بالنسبة لبقية القارة.**

➤ بالإضافة إلى ترسانتها النووية، تتفوق روسيا بسهولة على أوكرانيا من حيث الطيران العسكري وأنظمة الصواريخ والقوة البحرية. يمكن للصواريخ الروسية أن تتسبب في أضرار مدمرة بالبلدات والمدن الأوكرانية، بينما يمكن للقوات البحرية والجوية الروسية أن تتغلب على القوات الأوكرانية وتستولي على الأراضي. ومع ذلك، فإن أي حملة برية واسعة النطاق ضد أوكرانيا محكوم عليها بالفشل في النهاية. يمكن للجيش الروسي القوي بالتأكيد أن يتقدم بقوة، لكن القوات الروسية لن تكون قادرة على السيطرة على أي منطقة تحتلها. وبدلاً من ذلك، ستحترق الأرض الأوكرانية المحتلة تحت أقدامهم.

➤ ستكون التكلفة البشرية لأوكرانيا كارثية، لكن الأوكرانيين لن يحزنوا وحدهم. كما ستتكدب روسيا خسائر فادحة. ستتشر صور التوابيت العائدة إلى روسيا من الخطوط الأمامية في أوكرانيا كفيروس عبر وسائل التواصل الاجتماعي وستثبت قريباً أنها أكثر من اللازم لاحتواء حتى رقباء الكرملين.

➤ إن اندلاع حرب كبرى في أوكرانيا من شأنه أن يغرق أوروبا بأكملها في أزمة. إن الظهور المفاجئ لما يتراوح بين ثلاثة وخمسة ملايين لاجئ أوكراني هاربين من الغزو الروسي سيكون مجرد أحد الاهتمامات الرئيسية العديدة التي تواجه المجتمع الأوروبي.

على سبيل المثال، يعتمد الاتحاد الأوروبي بشكل كبير على الواردات الغذائية بما في ذلك الحبوب. قد تؤدي الحرب الكبرى إلى تعطيل خطير وربما منع الكثير من الواردات من كل من أوكرانيا وروسيا، مما يخلق مجموعة كاملة من مشاكل الأمن الغذائي للقارة بأكملها. كما أن هجوم روسيا من شأنه أن يمثل **ضربة نهائية للنظام الدولي القائم على القواعد**، ويفتح الباب أمام حقبة جديدة من **انعدام الأمن العالمي** والتي من شأنها أن تهدد عقوداً من السلام غير المسبوق في جميع أنحاء أوروبا.

بينما وقع التأكيد على استعداد روسيا لرفع المخاطر، من الضروري أيضاً ملاحظة أن نظام بوتين ليس شيئاً إن لم يكن براغماتياً. هم ماهرون للغاية في تقييم المخاطر. في حين أن التصعيد ممكن حالياً، إلا أنه لا يزال من الممكن تجنبه. الطريقة الواقعية الوحيدة للتعامل مع الكرملين هي إظهار الاستعداد لمواجهة العدوان الروسي. يعتبر المراقبون الاطلسيون انه من الواجب اقناع موسكو بأن ثمن هجوم جديد سيكون باهظاً للغاية بحيث لا يمكن التفكير فيه. سيكون هذا الثمن من الناحية العسكرية البحتة وفي شكل تداعيات سلبية على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي. إن الفشل في الرد بشكل حاسم على التهديدات الروسية الأخيرة لن يؤدي إلا إلى زيادة تكلفة احتواء الكرملين. في يونيو، أعلن الرئيس الأمريكي **جو بايدن** أنه سيراقب تصرفات موسكو عن كثب خلال الأشهر الستة المقبلة. منذ ذلك الحين، أكمل الكرملين فعلياً ضم بيلاروسيا، وشن هجوماً هجيناً ضد دول الناتو والدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي من خلال توجيه المهاجرين نحو حدودهم، وتسليح إمدادات الطاقة بشكل كبير، والتي، من قبيل الصدفة، تعهد القادة الغربيون بمنعها. تقوم روسيا الآن بحشد عسكري جديد على الحدود الأوكرانية. إذا اقتصر الرد على هذه الإجراءات بالإعراب عن القلق والدعوات إلى جولة جديدة من المحادثات، فإن روسيا ستعتبر ذلك دعوة لمزيد من العدوان.

4. **لتغيير سلوك بوتين، الغرب بحاجة إلى استراتيجية جديدة**

على الرغم من أن الرد في العواصم الغربية على الموقف العسكري العدواني لروسيا على حدودها مع أوكرانيا قد تمت صياغته بعبارات دبلوماسية واضحة أولاً، إلا أن التخطيط للطوارئ العسكرية قد زاد من حدته في الأسابيع الأخيرة. الهدف من هذه التحركات، على الأقل بناءً على خطاب قادة الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي وكذلك المعلقين والمراقبين، هو تعزيز الردع.

يهدف الردع، كما أوضح **الباحث الأمريكي توماس شيلينج، في كتابه الأساسي الصادر عام 1966**، "الأسلحة والتأثير"، إلى **منع الخصم من اتخاذ إجراءات مستقبلية. ميزها شيلينج عن الإستراتيجية الثانية للإكراه، والتي تهدف إلى تغيير السلوك الحالي للخصم.** كلاهما غير مضمون، وكلاهما ينطوي على مخاطر. ولكن ما لم يكن الغرب واضحاً بشأن الاستراتيجية التي يجب اتباعها ضد المواقف الروسية العدوانية، فقد تفشل الدبلوماسية.

اتخذت محاولات الغرب الردع في المواجهة الحالية شكلين حتى الآن.

أولاً، هناك إجراءات فورية تهدف إلى منع المزيد من التوغلات العسكرية الروسية في أوكرانيا، مهما كانت طفيفة على ما يبدو. وتتراوح الإجراءات المهددة من عواقب اقتصادية مدمرة محتملة بمجرد عبور "الرأس الروسي" الأول الحدود، إلى المساعدة العسكرية لأوكرانيا والتعزيزات الهائلة على الجناح الشرقي لحلف الناتو. استخدمت كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة أيضًا شكلاً من أشكال "الكشف كرادع"، للكشف عن المؤامرات الروسية المزعومة - مثل خطط تنصيب قيادة موالية لروسيا في كييف أو إطلاق علم مزيف أو حتى هجوم مفبرك في شرق أوكرانيا - قبل حدوثها لمنع موسكو من المتابعة.

ثانياً، عززت تدابير الردع الأكثر عمومية، من زيادة الإنفاق الدفاعي للحلفاء إلى المشاورات مع السويد وفنلندا حول توثيق التعاون مع الناتو، استعداداً وقوة وتضامناً للحلف منذ ضم روسيا لشبه جزيرة القرم في عام 2014. هذه أعمال جديرة في حد ذاتها، لكنهم يتجاهلون حقيقة أن الردع قد فشل بالفعل كإستراتيجية ضد روسيا عدة مرات في السنوات الخمس عشرة الماضية - كان آخرها في عام 2014 مع ضم شبه جزيرة القرم والحرب في شرق أوكرانيا، ولكن أيضاً في عام 2008 مع التوغل العسكري في جورجيا وفي عام 2007 بهجمات إلكترونية واسعة النطاق في إستونيا. يبدو من الواضح أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في مهمة لمراجعة الهيكل الأمني الإقليمي والعالمي. لذلك لا ينبغي أن يكون مفاجئاً أن الردع يفشل مرة أخرى، مع تطويق القوات الروسية لأوكرانيا ووضع بوتين مطالبه على الورق لتحديد مجال النفوذ.

بقي أحد أهداف الردع المهمة والمحدودة كما هو: وهو هدف الهجوم المسلح على أي من حلفاء الناتو. ولكن حتى السجل هنا مختلط. على الرغم من أن الناتو أضاف الهجمات الإلكترونية والحرب المختلطة إلى ضمانه الأمني بموجب المادة الخامسة في عامي 2014 و2016، على التوالي، فقد تعرض حلفاء الناتو لهجمات مختلطة متواصلة دون الحرب، من التدخل في الانتخابات في الولايات المتحدة إلى استخدام الأسلحة الكيماوية المحظورة على الأراضي البريطانية. ينشر بوتين بالفعل نفس قواعد اللعبة ضد أوكرانيا، بما في ذلك الهجمات الإلكترونية.

يشير هذا السجل إلى أن الأمر سيستغرق أكثر من مجرد الردع لوقف الحرفية الروسية. من جانبها، تحولت موسكو منذ فترة طويلة من الردع إلى الإجبار في جهودها لإجبار الناتو على إعادة قواته إلى مواقعها قبل توسع الحلف إلى دول الكتلة السوفيتية السابقة في عام 1997. في الواقع، الأزمة المصنعة بأكملها حول أوكرانيا هي تمرين على الإلزام: من خلال تجميع قوة غزو وإصدار مطالب متطرفة، يلعب بوتين لعبة "الدجاجة" المصممة لحمل الناتو على تغيير مساره.

على هذا النحو، الغرب لا يريد فقط منع التوغل التالي فحسب، بل أيضاً وقف أو عكس المسار الراسخ للسلوك الروسي، من هنا يصبح التحدي الاستراتيجي في المقام الأول تحدياً للإكراه وليس الردع. الاختلاف بين الاثنين يتجاوز دلالات الألفاظ. يعتمد تمييز شيلينغ على مبادرته التي يتم اختبارها. الردع يضع الكرة في ملعب المعتدي. وكما قال وزير الخارجية الأمريكية أنتوني بلينكن، فإن روسيا "يمكنها اختيار طريق الدبلوماسية ... أو المسار الذي سيؤدي إلى الصراع". وكما قال وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف، "إذا واصل الغرب مساره العدواني، فستتخذ موسكو الإجراءات الانتقامية اللازمة". هذا ما يبدو عليه الإلزام. إنها لعبة مألوفة لدى الروس، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن مفهومهم الأوسع للردع يشمل الإجبار.

ومع ذلك، في مثل هذا السيناريو، يؤدي استخدام لغة الردع إلى تعقيد المشكلة فقط، حيث إن كل التزام جديد لردع التعدي الروسي التالي يشير إلى قبول فعلي للخطوة السابقة. لهذا السبب رأى شيلينغ، في "الأسلحة والتأثير"،

التحدي المتمثل في العدوان "المنخفض المستوى" الغامض - مثل المنطقة الرمادية أو التهديدات المختلطة و "تكتيكات السلام" التي تتفوق فيها روسيا - كواحد من الإكراه وليس الردع لأنه يتعلق بمنع "استمرار" شيء يقوم به الخصم بالفعل.

قد يكون أحد أسباب تردد الغرب الحالي في تجاوز الردع الافتراض بأنه استراتيجية سلبية، استراتيجية تحافظ على الوضع الراهن مع تجنب الاستفزات غير الضرورية. لكن **بعض المراقبين** يعتبرون هذا المنطق خاطئاً على جبهتين. أولاً، على الرغم من تأكيدات الناتو بأنه "تحالف دفاعي لا يشكل أي تهديد لروسيا"، فإن "المعضلة الأمنية" - حيث تدعو الإجراءات المتخذة لتعزيز أمن أحد الطرفين إلى اتخاذ إجراءات مضادة من قبل الطرف الآخر لسد الفجوة - تشير إلى أنه ليس امام روسيا ليس سوى أخذ ما يعتبره تعدي الحلف على محمل الجد.

ثانياً، لم يعد الردع استراتيجية قابلة للتطبيق في الوقت الذي تعمل فيه روسيا بالفعل على تغيير الوضع الراهن بالقوة. بطبيعة الحال، فإن ممارسة الإكراه أصعب من ممارسة الردع. لسبب واحد، يتطلب الأمر من الطرف الآخر أن يفقد ماء الوجه، على الرغم من أن الاستخدام الماهر للجزرة والدبلوماسية يمكن أن يخفف من هذه الضربة. ووفقاً لـ "نظرية الاحتمالات"، فإن الجهات الفاعلة التي تواجه خسائر بالفعل من المرجح أن يكون لديها قدر أكبر من تحمل المخاطر. في هذه الحالة، ولأن بوتين مقتنع بأن أوكرانيا "تبتعد" عن دائرة نفوذ روسيا، فإنه على استعداد متزايد لرفع المخاطر للتمسك بها. هناك عوامل مرتبطة بالنجاح، مثل إظهار نية ثابتة من الالتزام، وفهم تصورات الخصم وربط المطالب الواضحة والمحددة بالتهديدات القهرية - عندما يتعلق الأمر بالالتزام، فإن الغموض لا يكون مفيداً بشكل عام. قد تؤدي التكتيكات الأخرى إلى تفويض الإكراه. على سبيل المثال، يمكن أن يعطي الخلط بين التهديدات بالعقوبات الاقتصادية والتهديدات بالقيام بعمل عسكري الانطباع بأن العقوبات قد تحدث بغض النظر، مما يؤدي بالخصم إلى استنتاج أنه "ملعون إذا فعلوا ذلك، وملعوناً إذا لم يفعلوا ذلك". وبالتالي، فإن معارضة الولايات المتحدة للعقوبات الاستباقية - أو الإجبارية - التي دعا إليها الرئيس الأوكراني فلوديمير زيلينسكي، قد تكون حكيمة.

بغض النظر عن العقوبات، يبدو أن العديد من الخطوات التي تتخذها الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي حالياً مصممة على فرضها. بالإضافة إلى نقل 3000 جندي إلى بولندا ورومانيا، ألغت الولايات المتحدة خطأً لإبحار حاملات الطائرات USS Harry S. يتم إعادة تكليف الوحدات العسكرية الأوروبية من مهام أخرى للجناح الشرقي لحلف الناتو بينما حاملات الطائرات البريطانية إتش إم إس برينس أوف ويلز في طريقها بالفعل إلى القطب الشمالي. تستعد فرنسا لنشر مجموعة قتالية جديدة مُحسَّنة لحلف الناتو، أو EFP، في رومانيا، وهي قوة أخرى من "tripwire" لإثبات التزام حلفاء الناتو بالدول الأعضاء في الخطوط الأمامية.

تشير هذه التحركات إلى عامل آخر يساهم في نجاح الإكراه العسكري: **تحريك القوات من مسرح القلق "من الخارج إلى الداخل"** - انظر تأثير تحرك القوات الروسية غرباً، على سبيل المثال. في ضوء ذلك، توفر تصرفات الناتو إمكانات جادة وجماعية، لكن تأطيرها على أنها تهدف إلى "التأكيد والردع" يقوض الإصرار ويترك كرة المبادرة البالغة الأهمية في ملعب بوتين. بالطبع، لا يتعلق الإكراه بالقوة الصارمة فقط. من وجهة نظر موسكو، فإن دعم الغرب المستمر للديمقراطية الأوكرانية والمسار نحو الاندماج الغربي هو استراتيجية قوية للإكراه في حد ذاته. هذا هو الأساس الذي وصلنا إليه هنا. من المهم ملاحظة **مخاطر الإكراه**، والتي يمكن أن تدفع الجانب الآخر "نحو حافة الهاوية". هذا عن طريق التصميم، من أجل تغيير حساب الخصم. كما قال **توماس رايت في معهد بروكينغز**، "بدون احتمال المواجهة ... لن يكون لدى

(بوتين) سبب للتخلي عن هدفه المتمثل في السيطرة على أوكرانيا وتقويض الناتو". ومع ذلك، هناك أيضًا مخاطر في اتباع استراتيجية ردع فاشلة بالفعل. هذه هي الخيارات الصعبة التي يواجهها القادة في أوقات الأزمات.

حان الوقت الآن للولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي لتقرير ما إذا كانا يحاولان ردع بوتين عن المزيد من التوغلات أو إجباره على تغيير المسار. هذا لا يعني أن الكذب هو بالضرورة المسار الأكثر حكمة في هذه الحالة، بالنظر إلى مخاطر التصعيد. هذا حكم سيصدره القادة - والتاريخ. لكن ما هو أساسي هو **الوضوح الاستراتيجي**. على وجه الخصوص، فإن الحديث عن الردع أثناء السعي وراء الكراهية هو أسوأ ما في العالمين - مكلف ومربك وغير منتج.

5. سيناريوهات محتملة لهجوم روسي على أوكرانيا وتداعياته على أوروبا

بحسب تحليل نشره [مركز الدفاعات الاستراتيجية الأوكراني](#)، فإن معظم السيناريوهات للسيطرة الروسية على مدن وأقاليم أوكرانية منفصلة أمر غير مرجح بسبب الافتقار إلى الملاءمة السياسية:

- من الممكن حدوث بعض الأعمال العدائية في مناطق معينة من أجل تشتيت انتباه قوات الدفاع الأوكرانية.
- سيناريو القصف المكثف والضربات الصاروخية، التي يمكن أن تؤدي إلى خسائر مدنية واسعة النطاق غير واقعي، لافتاً إلى أن مثل هذا الإجراء يمكن أن يفشل مساعي القيادة السياسية الروسية الهادفة لكسب "قلوب وعقول" السكان الناطقين بالروسية في أوكرانيا.
- المتعاطفين مع روسيا سوف يغيرون رغبتهم في دعم بوتين لو حدث مثل ذلك السيناريو.
- الضربات الصاروخية والجوية المحدودة على المنشآت العسكرية أو مرافق البنية التحتية ممكنة فقط كوسيلة لدعم العمليات البرية أو كوسيلة للضغط النفسي.
- قيام الكرملين بتنفيذ استفزاز، مثلاً في شرق أوكرانيا - أمر محتمل، والغرض من هذا الإجراء هو إضفاء الشرعية على دخول القوات الروسية إلى الأراضي الأوكرانية أو التصعيد المسلح على خط المواجهة.
- التصعيد الروسي في شرق أوكرانيا متوقع إلى حد كبير.
- يستمر الوضع في البحر الأسود بالتحول بسبب تعزيز قدرات أسطول البحر الأسود الروسي من قبل سفن أساطيل المحيط الهادئ والشمالى. وإلى جانب القوات الجوية المتمركزة في شبه جزيرة القرم، يمكن أن يشكل هذا تهديداً للقيام بعمليات روسية في جنوب أوكرانيا.
- بالاستفادة من الأفضلية العسكرية الكبيرة في البحر، قد تفرض روسيا حصاراً شبه كامل على البحر الأسود، وربما في بحر آزوف، في انتهاك للقانون الدولي، خلال الفترة من 13 إلى 19 فبراير/شباط بحجة إجراء تدريبات عسكرية. وسيؤدي مثل هذا الإجراء إلى تشتيت انتباه كل من القيادة العسكرية والسياسية لأوكرانيا والمجتمع الدولي. وإلى الآن، لا تزال توقعات تطور الوضع في البحر الأسود وبحر آزوف سيئة، لكنها ستعتمد إلى حد كبير على رد فعل أوكرانيا، والمجتمع الدولي على الحصار المفترض.

➤ فقدان عنصر المفاجأة:

أعاد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين رسم الصورة الواقعية والمتخيّلة، لعبارة "الحشود الروسية"، المستمدة من "الحشود السوفييتية" أثناء الحرب الباردة (1947 — 1991)، تحديداً في المجر وتشيكوسلوفاكيا (قبل انقسامها إلى دولتي تشيكيا وسلوفاكيا في عام 1993)، وفي أفغانستان. وإذا كان السوفييت قد نجحوا في إخماد الثورة المجرية في عام 1956 وقمع الحركة التغييرية في براغ في عام 1968، فإنهم واجهوا هزيمة كبرى في أفغانستان (1979 — 1989). وبالتالي، فإن نجاح بوتين في ترهيب جورجيا في عام 2008 وأوكرانيا في عام 2014، حين ضمّ شبه جزيرة القرم، سمح بتفعيل مفهوم "الحشود الروسية"، وفقاً لمبدأ "القوة في إظهار القوة" في الأزمة الأوكرانية الحالية.

لكن التصعيد اتخذ منحى أكثر خطورة، مع بروز نوايا روسية لاجتياح أوكرانيا، بسبب عزم الأخيرة استرداد القرم ودونباس (مناطق الانفصاليين في الشرق الأوكراني) والانضمام لحلف شمال الأطلسي. وترجمت النوايا الروسية بتحشيد غير مسبوق لما بين 100 و150 ألف جندي، شرق كييف وجنوبها وشمالها، بما يشبه الكمّاشة. ووفق هذا الانتشار، باشرت مختلف دوائر الاستخبارات الغربية توقّع سيناريوهات مسار الغزو الروسي المحتمل لأوكرانيا، والخطوات التمهيديّة له.

➤ التحرك الروسي على الأرض:

يطوّق الجيش الروسي أوكرانيا حالياً، من ثلاث جهات من أصل أربع. ويتمركز الجزء الأكبر من القوات الروسية، في إقليم روستوف، المقابل للشرق الأوكراني، وفي سولوتي وبييلغورود القريبتين من مدينة خاركييف الأوكرانية، وفي كورسك وكلينتسي وكليموفو. وضمن هذه الجبهة يستند أيضاً إلى دعم مدينتي ييلنيا وفولغوغراد (ستالينغراد سابقاً). أما في الجنوب، فيتحصّن الروس في شبه جزيرة القرم وبحر آزوف، المتفرع من البحر الأسود، والبحر الأسود نفسه، فضلاً عن وجود ألفي جندي روسي في إقليم ترانسستريا المولدافي، المحاذي لمدينة أوديسا الأوكرانية. أما في الشمال، فينتشر الروس داخل الأراضي البيلاروسية، تحديداً على الحدود البيلاروسية — الأوكرانية، التي تقع على نحو 150 كيلومتراً من كييف. ويتمركز الروس أيضاً في الغرب البيلاروسي، في مدينة بريست، على مقربة من بولندا، الدولة العضو في الأطلسي. والجبهة البيلاروسية مدعومة من مقاطعة كالينينغراد الروسية الواقعة على بحر البلطيق، والقادرة على حماية ظهر الروس بالمفهوم العسكري من أي محاولة من الأطلسي — لضرّ بهم. في كل تلك الجبهات تنتشر — معدات هجومية روسية، بدءاً بسلاح الجو، والصواريخ بعيدة المدى، خصوصاً الجيل الجديد من صواريخ "إسكندر"، والأجيال الجديدة من دبابات "تي 90"، فضلاً عن المستشفيات الميدانية، التي أنشئت حديثاً.

توحي عملية الانتشار العسكري الروسي، بأن الروس سيعمدون إلى اجتياح نصف أوكرانيا، لا كلها. والتركيز على تحويل كييف إلى برلين جديدة، تفصل بين شرق روسي وغرب أوروبي — أميركي. على أن مفهوم الاجتياح، يعني إنهاء السيطرة الأوكرانية على البحر الأسود، وتحويل أوديسا إلى مدينة محاصرة بقوى الأمر الواقع الروسية. كما أن الوجود الروسي في بحر آزوف، يعني أمرين حكماً:

➤ أولاً، إقفال هذا البحر نهائياً في وجه الشرعية الأوكرانية، وربط المنطقة الساحلية من دونباس، حيث إقليما لوغانسك ودونيتسك، بشريط ساحلي يمرّ بمرفأ ماريوبول، الذي تسيطر عليه كييف، وصولاً إلى القرم. وهذه الخطوة تستدعي السيطرة الروسية على مدينة خيرسون، بسبب إطلالتها على القناة المتفرّعة من نهر دنيبر،

التي تمدّ القرم بالمياه. وضمن هذه الخطوات، تكون روسيا، قد سيطرت على كييف ونهر دنيبر والشرق الأوكراني والقرم وبحر آزوف. بالتالي، فإن أي هجوم روسي على أوكرانيا، سيبدأ بحربٍ سيبرانية لتعطيل الاتصالات وسلاح الإشارة لدى القوات الأوكرانية والخدمات الحكومية وأنظمة البنى التحتية الأساسية من مياه وكهرباء ووقود.

➤ **ثانياً،** هجمات جوية واسعة النطاق، تناول المدن الرئيسية في أوكرانيا للتمهيد للتدخل البري، المفترض أن ينطلق من ثلاث مسارات رئيسية: من الحدود البيلاروسية باتجاه كييف، ومن القرم باتجاه خيرسون، ومن بيلغورود باتجاه خاركييف، على أن تشغل القوات الانفصالية الجيش الأوكراني في ضواحي دونيتسك ولوغانسك. وفي حال تمت السيطرة على هذه المدن، يُصبح الاحتلال الروسي لأوكرانيا أمراً واقعاً. ومن الطبيعي أن القيادة الروسية الحالية المؤلفة من عناصر متشربة من المدرسة العسكرية السوفييتية السابقة، قد تكون نشرت شبكة من العملاء التابعين لها في مختلف المناطق الأوكرانية، لتأمين الاحتلال بشكل كامل، وعدم عرقلته أثناء التقدم. هناك حديث عن حالة تأهب قصوى في أوكرانيا استعداداً لأي عملية عسكرية روسية: وبالتالي هناك توقعات بفشل الخطة الروسية لعدة أسباب:

➤ **أول هذه الأسباب،** هو تطور الجيش الأوكراني، واعتماده على "وحدات الدفاع الإقليمي"، وهي مليشيا تابعة للشرعية مؤلفة من نحو مليوني عنصر، وفقاً لقيادة الأركان الأوكرانية. وفي حال لم يدبّ الذعر في صفوف الجنود و"وحدات الدفاع الإقليمي":

- قد يستطيعون تحويل أوكرانيا إلى "أفغانستان أوروبية"، وفقاً لتقديرات الاستخبارات الأميركية والأوكرانية، التي نشرتها [صحيفة "ذا غارديان" البريطانية في ديسمبر/كانون الأول الماضي.](#)
- في حال غرق الروس في المستنقع الأوكراني، فسينقلب ذلك عليهم في وقتٍ لاحق، كما حصل مع السوفييت في أفغانستان. كما سيؤدي الاستنزاف إلى تراجع الثقة الداخلية الروسية ببوتين، كزعيم قادر على حسم المعارك بصورة سريعة، كما فعل في الشيشان في عام 1999 وفي جورجيا والقرم.

➤ **ثاني هذه الأسباب،** فمرتبط بالقدرة العمالية لبيلاروسيا من جهة والانفصاليين في الشرق من جهة أخرى على مواكبة الروس، وإلا قد يتحولون إلى عبء أو خسارة ضعيفة بالمفهوم العسكري، لأن قوتهم أساساً مستمدة من الروس، لا العكس.

➤ **ثالث هذه الأسباب،** فمتعلق بخلق بؤر صراع أخرى على الحدود الروسية في وسط آسيا، سواء مع كازاخستان مجدداً أو تركمانستان، على الرغم من قدرة الروس على تحريك الصرب في كوسوفو والبوسنة والهرسك، عدا صربيا. لكن توسيع رقعة المعارك، أو التوترات، سيستنزف القوات الروسية في ظلّ اقتصاد متراجع، وتدني عدد السكان الروس مليون شخص في العام الأخير، بسبب وفيات كورونا وانخفاض نسب الإنجاب.

6. الضحايا الحقيقيون للهيمنة الامريكية على الناتو هم دول أوروبا الغربية والوسطى

يعتبر [بعض المحللين في الغرب](#)، أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم الضغط الروسي الحاصل لفرض شروطها ونظامها على حلفائها في حلف الناتو، وبالتالي فإن المعركة التي تبدو صراعاً بين روسيا من جهة والناتو من جهة أخرى هي في الحقيقة مواجهة أو صراع داخلي داخل الناتو نفسه. ويعتبر هؤلاء، أنه، وخلال الأسابيع القليلة الماضية، حاولت وسائل الإعلام الغربية (الأوروبية والأمريكية) إقناع الناس بأن روسيا ستُرسل قوات إلى أوكرانيا. وتقول واشنطن بوست ونيويورك تايمز وسي إن، ودويتشه فيله ولو فيغارو ولوموند وديلي ميل والجارديان ومنافذ أخرى إنه في غضون أيام ستبدأ روسيا غزواً عسكرياً للبلاد.

في الواقع، هذا ليس هو السؤال على الإطلاق لأن المشكلة تأتي مما أعلنته روسيا، في 17 ديسمبر، عن معاهدة مقترحة تضمن السلام بين الولايات المتحدة وروسيا. وبما أن الولايات المتحدة لا ترغب على الإطلاق في الرد بشكل إيجابي على هذا الاقتراح، فإنها تنظم هجوماً مضاداً على السؤال الأوكراني. لكن روسيا لم تنوي أبداً غزو أوكرانيا. إنها مجرد طريقة لصرف الانتباه عن المشكلة الحقيقية. نعلم أن مهمة القادة الروس هي إقناع الولايات المتحدة والناتو بالتوصل إلى اتفاق بشأن الضمانات الأمنية في أوروبا. على وجه الخصوص، عدم تثبيت صواريخ متوسطة وقصيرة المدى في دول أوروبا الشرقية والالتزام كتابياً بأن أوكرانيا وجورجيا لن تنضم إلى الناتو. إنه يتعلق بالسلام في أوروبا على المدى الطويل. لكن السؤال هنا هو لماذا تحاول الولايات المتحدة وبعض شركائها الأوروبيين تصوير الجهود الدبلوماسية الروسية على أنها عمل عدواني؟

في حالة أوكرانيا، تم حشد شبكات النازيين الجدد الذين يتلقون المساعدة من الناتو بشكل مباشر أو غير مباشر، ويتم الإشراف عليهم من قبل وكالة المخابرات المركزية وMI6 البريطانية. مارست كل من الولايات المتحدة وبريطانيا هذه الهيمنة على حلف الناتو معاً منذ إنشائه، حتى لو كان البريطانيون اليوم أقل قوة بشكل واضح. لذا فإن الأشكال المطروح بالنسبة لروسيا هو مجرد وجود الناتو. إذا كانت الولايات المتحدة تريد احترام ميثاق الأمم المتحدة، فعليها تغيير الناتو أو حله. يبدو أنّ الولايات المتحدة ليس لديها أي نية على الإطلاق لخوض حرب مع روسيا والصين. من ناحية أخرى، فإن القوات التي أرسلوها هي قوات سيئة التدريب، فهم ليسوا على الإطلاق جنوداً قادرين على القتال ضد الجيش الروسي. كما أنّ جيش الولايات المتحدة، على الرغم من ضخامته، لكنه ليس قادراً على القتال ضد جنود مدربين من دول كبيرة. إنه جيش يحارب فقط دول العالم الثالث الصغيرة. من السهل الذهاب إلى مناطق معينة وتدميرها مثل أفغانستان والعراق وليبيا وسوريا. كل هذه كانت دولاً محاصرة وبجيوش ضعيفة. فمن السهل جداً ضرب الدول والمؤسسات العسكرية التي تم وضعها بالفعل تحت العقوبات. أما الجيش الروسي الآن فهو جيش مدرب وقادر على محاربة الأعداء بنفس القدرات. وهو لديه أسلحة متفوقة بشكل كبير، سواء التقليدية والنووية، وهو متفوق تماماً على سلاح الولايات المتحدة. في المجال النووي، يعلم الجميع أن لدى روسيا صواريخ زيركون وصواريخ أفانجارد التي تمكنها من تدمير القوة الضاربة للولايات المتحدة. لقد رأينا في سوريا أن الجيش الروسي لديه جميع أنواع المعدات عالية الجودة، وهي أفضل بكثير من تلك الموجودة في الولايات المتحدة في القتال التقليدي. علينا أن نتذكر أن الجيش السوري في البداية لم يكن لديه أسلحة على الإطلاق. لقد كانت تحت الحظر لأكثر من 20 عاماً. الجماعات المسلحة فقط هم من يملكون أسلحة حديثة. كان الجيش السوري يقاتل مسلحين مدعومين بسلاح من الولايات المتحدة. عندما وصل الروس، تم تعطيل كل ذلك، استغرق الأمر وقتاً أطول من المتوقع، لكن الجيش الروسي اختبر هذه الأسلحة الجديدة. لذلك لا نعتقد إطلاقاً أن

الولايات المتحدة تصعد في سوريا أو أوكرانيا. ما يفعلونه هو وسيلة لتعبئة حلفائهم. يقولون لهم: "الوضع خطير، الروس قادمون. احموا أنفسكم وسندافع عنكم".

تشير المعلومات الواردة من [مصادر مختلفة](#) إلى أن الولايات المتحدة تعد لاستفزازات مناهضة لروسيا في دونباس وأجزاء أخرى من أوكرانيا. على سبيل المثال، في 1 شباط/فبراير الماضي، نشرت معلومات أن عملاء الشركات العسكرية الأمريكية الخاصة يتسللون إلى نهر دونباس وأن عملاء المخابرات البريطانية والأمريكية سيستخدمون مجموعات النازيين الجدد الأوكرانيين ضد روسيا. فما هي احتمالات التهديد بهجمات إرهابية أو استفزازات تهدف إلى تشويه سمعة روسيا أو جرّها إلى الحرب من الجماعات شبه العسكرية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة؟

يذهب الاعتقاد إلى أنّ هناك مخاطرة كبيرة جدا من الاستفزاز، ولكن ليس لإثارة الحرب. هناك خطر الاستفزاز لوضع الحلفاء في موقف ضعيف. صحيح أنّ الروس يهاجمون، وهذا خطير للغاية بالنسبة للاروبيين. يبدو أن الولايات المتحدة اليوم وكما فعلت في الشرق الأوسط باستخدامها الجماعات التكفيرية والارهابية، تعمل على استخدام المنظمات النازية لتحقيق أهدافها. صحيح أنه لا يوجد الكثير من الأشخاص في هذه المنظمات، ولكن يمكن إجبارهم على فعل أي شيء على الإطلاق. قال وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان مؤخرًا إنه لا يوجد الآن ما يشير إلى أن روسيا مستعدة لاتخاذ إجراء في أوكرانيا. تحدث العديد من السياسيين الألمان في نفس الاتجاه ودعوا إلى حوار سلمي، وأدانوا الولايات المتحدة. لكن يبدو ان الأمريكيين ساعون لضرب المصالح الأوروبية. بالتأكيد لا مصلحة للولايات المتحدة إطلاقاً في مساعدة الأوروبيين، بل على العكس. في عام 1991، كان بول وولفويتز هو من كتب تقريرًا للرئيس بوش الأب، أوضح فيه أنه كان من الضروري منع ظهور قوة جديدة يمكنها منافسة الولايات المتحدة. في ذلك الوقت، كانت روسيا في حالة من الفوضى. كانت فترة يلتسين، وانهايار روسيا. لكن الاتحاد الأوروبي كان ينمو، وكتب بول وولفويتز أن الاتحاد الأوروبي يجب أن يُمنع من أن يكون قادرًا على النمو إلى حد التنافس مع الولايات المتحدة. في عام 1991، اعتبر أن العدو الرئيسي للولايات المتحدة هو الاتحاد الأوروبي. هذا لم يتغير. تعتبر الولايات المتحدة أن الاتحاد الأوروبي هو الجانب المدني للعملة، أما جانبه العسكري فهو الناتو. علاوة على ذلك، هذا هو سبب وجود مفوضية أوروبية غير منتخبة. هذه اللجنة مسؤولة عن نقل طلبات الناتو الخاصة بالمعايير إلى القانون الأوروبي. لأنه، على سبيل المثال، في الاتحاد الأوروبي، عندما يتم بناء طريق، هناك معيار يضعه الناتو لبناء هذا الطريق، حيث يجب أن تكون دبابات الناتو قادرة على استخدام هذا الطريق. لذلك، تعتبر الولايات المتحدة الآن أنه يجب عليها استخدام المطالب الروسية لإضعاف الدول الأوروبية، وخاصة لإضعاف القوة الاقتصادية الأولى في أوروبا، والمقصود هنا ألمانيا. هذا هو السبب في أن كل شيء يدور اليوم حول **خط أنابيب الغاز نورد ستريم 2**. يجب أن يجعل من الممكن توفير الطاقة لكل الاتحاد الأوروبي دون الحاجة إلى استبدال خط أنابيب الغاز الذي يمر عبر أوكرانيا، لأن هناك زيادة مستمرة في الطلب على الطاقة في أوروبا. قيل في البداية أنه كان سيحل محل خط أنابيب الغاز الأوكراني، لكن على المدى الطويل لا معنى له. والولايات المتحدة مستعدة لقطع خط أنابيب الغاز هذا حتى لا يعود لدى ألمانيا إمكانية إنتاج السيارات وبيعها في الصين على سبيل المثال. وبالمثل، تطلب الولايات المتحدة من جميع الدول الأوروبية إرسال أسلحة وقوات إلى أوكرانيا أو حول أوكرانيا. لكن على أي حال، إنها طريقة لنزيفهم، وحرمانهم مما لديهم ضد عدو وهمي. هذا هو نفس الوضع عندما -في عام 1962- وضعت الولايات المتحدة صواريخ في تركيا لتهديد الاتحاد السوفيتي ورد الاتحاد السوفيتي بوضع صواريخ في كوبا لتهديد الولايات المتحدة.

من الواضح أن هذا التوازن مستحيل. لا يمكننا فعل ذلك دون إثارة الحرب. لذلك فهتمت الولايات المتحدة أن ما حصل سابقا في الستينيات لا يمكن أن يتكرر اليوم لان الظروف مختلفة.

إنّ القادة السياسيين في واشنطن، وأعضاء الكونجرس والإدارة العليا، يجهلون الواقع. فبالنسبة لهم، لا تزال الولايات المتحدة اليوم القوة الاقتصادية والعسكرية الرائدة في العالم، وهي ليست كذلك. بالنسبة لهؤلاء الأشخاص، يحق للولايات المتحدة أن تفعل ما تفعله لأنها الأقوى. هناك مجموعة ثانية حول الرئيس بايدن، لكنهم قلة، ينظرون إلى الواقع كما هو. إنهم يعرفون أن الولايات المتحدة لم تعد تملك الوسائل لفرض نظامها في العالم. إنهم يفهمون أن روسيا تريد استفزاز انسحابهم ويحاولون إبطائه. للأسف هناك مجموعة ثالثة، وهم "المحافظين الجدد"، هم من دربهم الفيلسوف ليو شتراوس وشرح لهم لماذا وكيف يخلقون دكتاتورية عالمية. على أية حال، هذه المجموعة من الشخصيات أرسلت إلى موسكو، كان من المقرر في أكتوبر الماضي، أن يكون أحد أعضائها، وكيل وزارة الخارجية فيكتوريا نولاند.

كانت فيكتوريا نولاند هي الشخص الذي نظم الانقلاب في اوكرانيا في عام 2014، لكنها كانت أيضًا الشخص الذي أعلن نهاية حرب الكيان الصهيوني المؤقت ضد لبنان في عام 2006، حيث كانت القوات الصهيونية حينها في طور سحقها من قبل حزب الله ورتبت فيكتوريا نولاند وقف إطلاق النار للسماح بالانسحاب الإسرائيلي بجيشه المهزوم يلاحقه حزب الله. تنتمي هذه السيدة لعائلة قوية جدًا نظرًا لأن جميع أعضائها عمليًا هم من كبار المسؤولين في أقوى مراكز الفكر في واشنطن. ذهبت هذه المجموعة، التي مثلتها، إلى موسكو لتقول إن الولايات المتحدة طالبتهم بالالتزام. من الواضح أن هذه المقابلة سارت بشكل سيء للغاية. حتى أن [البعض يقول إن الدبلوماسيين الروس هم من طرد نولاند](#). على أي حال، كان من المقرر أن تجري مقابلتين أخريين بعد ذلك، والتي كانت أكثر هدوءًا. كما كان من المقرر أن تلتقي برئيس المنظمات اليهودية في روسيا، ولم يحدث ذلك. رفض يهود روسيا مقابلة السيدة نولاند. بعد هذه المقابلة، غادرت بعد استفزاز إنذار عام من السلطات الروسية. بعد خمسة عشر يومًا، جاء ويليام بيرنز، مدير وكالة المخابرات المركزية، بدوره إلى موسكو ليشرح لوزير الخارجية: "معذرة، ليس كل شخص في الولايات المتحدة مثل السيدة نولاند، نحن أكثر عقلانية يمكننا أن نناقش".

كل هذه الجدالات دليل على أنه في إدارة جو بايدن، هناك مجموعتان تحاولان احتواء بعضهما البعض وهذا هو مكان الحرب الحقيقية. إنها ليست بين روسيا والولايات المتحدة. الحرب الحقيقية هي داخل إدارة بايدن، أي بين المجموعة التي شكلها ليو شتراوس ثم بقية الإدارة. هناك اعتقاد بان هذه المعارضة الحالية لن يتم تسويتها بالسلاح بين روسيا والولايات المتحدة. إذا كانت هناك تسوية عن طريق السلاح، فستكون في واشنطن بين هذه المجموعات الإدارية. لعل الأوروبيين سينجرفون في هذه الحركة. قد تكون هناك دول أوروبية تمر بأوقات عصيبة للغاية بسبب هذا الأمر. أي الاتحاد الأوروبي والدول التي ستنضم إلى الناتو، ليس روسيا، أو بيلاروسيا. لكن بالنسبة لهذه الدول، حيث أنها لم تعد تتمتع بالاستقلال ولأن قاداتها السياسيين معتادون فقط على الانصياع وليس أخذ زمام المبادرة، يمكن أن تتطور الأحداث وتضربهم بشدة، وقد يكون هؤلاء أول الضحايا هذا الصراع.

منذ هجمات 11 سبتمبر 2001، أي منذ اليوم الذي تلا تلك الهجمات بالضبط، تبنت الولايات المتحدة عقيدة عسكرية لم تنشرها أبدًا، وهي ما تسمى [عقيدة رامسفيلد / سيروسكي](#) نسبة إلى دونالد رامسفيلد وزير الدفاع والأدميرال آرثر سيروسكي الذي كان مستشاره الاستراتيجي. الفكرة هي أن الولايات المتحدة قد وضعت خريطة للعالم، ورسمت عليها

المناطق التي تم دمجها في الاقتصاد العالمي. من الواضح أنها دول الناتو، ولكنها أيضًا روسيا والصين. لكنهم وجدوا أنهم لا يستطيعون مهاجمتهم. ونظروا إلى الدول التي لم يتم دمجها في الاقتصاد العالمي، كأمريكا اللاتينية، وأفريقيا، وما أطلقوا عليه "الشرق الأوسط الكبير". ماذا يعني هذا التعبير؟ إنها منطقة تمتد من المغرب إلى باكستان وتشمل القرن الأفريقي. في كل هذه المجالات، وفقًا لهيئة الأركان العامة للولايات المتحدة، يجب علينا تدمير هذه الدول. نفهم جيداً أن الأمر لا يتعلق بتدمير دول وشعوبها، إنها مسألة تدمير دول وهيكل سياسية حتى لا يعود بإمكان هذه الشعوب الدفاع عن نفسها. بدأوا في تطبيق هذه الاستراتيجية في الشرق الأوسط الأوسع، أولاً في أفغانستان، ثم في العراق، ثم في ليبيا، وسوريا، واليمن. ونفذوا أيضًا عمليات في بلدان أخرى دون إعلان الحرب فيها. لقد أعلنوا مرارا أنهم سيتخلون عن هذه الإستراتيجية، كان هذا هو هدف لجنة بيكر - هاملتون بشأن ما حدث في العراق. قالت لجنة بيكر-هاميلتون: "إنه لأمر محزن، إنه مخيف ما نفعله هناك، لقد قتلنا الكثير من الناس، إنها فوضى مستحيلة. يجب الانسحاب من العراق. نعم، سننسحب من العراق، لكننا لن نتخلى عن هذه الاستراتيجية". ثم استأجرت الولايات المتحدة مرتزقة لإتمام المهام هناك بدلاً من جيشها النظامي.

اليوم، وبمنظرة فاحصة على أفغانستان والعراق وليبيا وسوريا، حيث استمرت هذه الحروب أسابيع وأشهر، في الواقع، لم ينته أي شيء، باستثناء حالة سوريا الخاصة حيث خسروا. عندما يحط الأمريكيون في بلد ما، يدمرون كل الهياكل السياسية وهذا هو هدفهم. إنهم لا ينتصرون في الحرب، إنهم يدمرون القدرة على الدفاع عن أنفسهم وهم يبقون الحرب في مكانها لأطول فترة ممكنة. قال الرئيس بوتين مؤخراً إن الأمر المثير للفضول اليوم هو أننا لم نعد نكسب الحروب. تخوض الولايات المتحدة الحروب، لكنها لا تنتهيها. هذه هي الملاحظة الأكثر أهمية: منذ عام 2001، لم تضع الولايات المتحدة حداً لأية حرب. يبدأون حروباً جديدة، لكن "حروباً لا نهاية لها". هذا ما قاله جورج بوش: "حروب بلا نهاية". هذا ما فعلوه في الشرق الأوسط. لقد فعلوا ذلك لأنهم اعتمدوا على الإرهابيين والمرترقة الذين يزعمون أنهم يقاتلون. في نفس الوقت يقومون بتدريبهم وإعطائهم أسلحة. اليوم، يمكنهم القيام بذلك في أوروبا، حيث سيقاتلون النازيين. لكنهم في الواقع هم الذين يسلحونهم ويؤسسونهم في نفس الوقت.

اليوم، لا تزال المؤسسات في العالم أحادية القطب. يتم وضع جميع المنظمات الدولية الكبرى تحت سلطة الولايات المتحدة، مهما كانت الظروف. قررت روسيا والصين أن هذا يجب أن ينتهي. ترد الولايات المتحدة بجعل حلفائها يعتقدون أن روسيا تطلب تقسيم العالم إلى منطقة نفوذ. اليوم، إذا قرأنا الصحف الأوروبية، فإننا سنجد أنها تتحدث فقط عن مناطق النفوذ. هل ينبغي أن تكون أوكرانيا في "معسكر الحرية"؟ أم أن أوكرانيا يجب أن تكون تحت "الدكتاتورية الروسية"؟ لقد أعطت روسيا مثلاً يحتذى به في منظمة معاهدة الأمن الجماعي حيث أن جميع الأعضاء في هذه المنظمة متساوون. بالطبع، روسيا هي الأقوى، لكنها لا تستطيع أن تفرض إرادتها على أرمينيا أو كازاخستان. إن النموذج الذي قدمته لنا روسيا اليوم هو نموذج سلمي بالكامل. لكننا نستمر في التفكير كما كان الحال خلال الحرب الباردة. من المثير للفضول، أننا لا نفهم أن الاتحاد السوفيتي - الذي تبنى عقيدة بريجنيف التي تسمح له بفرض سلطة موسكو على دول حلف وارسو - قد اختفى، وأنه لم يعد موجوداً.

